أوصاف رسول الله ﷺ الظاهرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شمل بجماله وكماله حبيبه وم طفاه، وجعله ﷺ أكمل الخليقة الإنسانية جسماً وقلباً وروحاً ومعنى، وأعلى الأنبياء و المرسلين شأننا وقدرا، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الذى كان قوله نور الجمال ووجه يضى بنور الواحد المتعال، وقلبه يغيب عن مو ه طرفه عين و أقل، صلى الله عليه و على آله وصحبه وكل من إهتدى بهداه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين ، آمين آمين يارب العالمين

إخوانى وأحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين ،

كنا قد إتفقنا سويا منذ ليلة ميلاد الحبيب الأعظم ﷺ أن نتناول ما تيسر من شمائله المحمديه وأوصافه النبويه التى جمله بها وكمله بها رب البريه عز وجل وقلنا أنه ﷺ له وصف جسماني، وله وصف معنوي، وله صفاء قلبي، وله سبح روحي، وله تنزل قدسي، وكل ذلك من أوصافه صلوات ربي وتسليماته عليه، ونبدأ من ذلك بما تيسر من وصفه ﷺ الحسي الجسدي، مع أنه رُوي أن أغلب أصحاب رسول الله ﷺ مع كثرة شخوصهم بين يديه، وجلوسهم دائماً وأبداً مستمعين إليه، إ أنهم كانوا يستطيعون أن يُثبتوا أبـ ارهم في وجهه الشريف وينظروا إليه.

وناهيك في هذا المقام حتى الأبطال والـ ناديد والقادة في ميادين القتال الشداد، ومنهم عمرو بن العاص رضى الله عنه، فعندما حضرته المنية أخذ يبكي خوفاً من سوء الخاتمة، فقال له ابنه عبد الله وكان من العابدين: يا أبتاه مم تخاف؟! يكفيك أنك صحبت النبي ﷺ وتمتعت بـ حبته وشهدت جمال وجهه، فقال رضى الله عنه: هيهات هيهات، قد مات النبي ﷺ وما استطعت أن أنظر إليه وأثبت بـ ري في وجهه حياءاً منه!!.

وكان ﷺ كما رُوي عنه يُضرب به المثل في الحياء، فكان يُقال في شأنه:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا }[2]

أي كالبنت البكر في سترها، وحرصها على أن يطلع أحد على أي شأن من شئونها!!.وكان حياءه من الله عظيماً، لقد كان ﷺ يستطيع أن يرفع نظره إلى السماء، إن كان في مشيه أو في جلوسه أو في صلاة حياءاً من الله جل وعلا.

وكان في حديثه مع الخلق كما رُوي عن حضرته يستطيع أن يُثبت بـ ره في وجه مُحدثه وهو يُحدثه من شدة أدبه وحياءه صلوات ربي وتسليماته عليه، وقد قال له الـ ديق الأعظم سيدنا أبو بكر رضى الله عنه متعجباً من هذه الأحوال العالية: يا رسول الله لقد طفت العرب، وذهبت إلى الفرس، وذهبت إلى الروم فلم أر مثل أدبك، فمَن الذي أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[3]

[1] المعادي – الخميس ٦ من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٢/٦م
[2] البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنهم
[3] أخرجه السمعاني في أدب الاملاء

صورة حُسنه ﷺ

ولذا نجد أن من كان يـ ـف رسول الله ﷺ كما ورد في كتب الـ ـحاح نفر قليل من الـ ـحابة المباركين، ونحن نعلم أن صحابة النبي عندما ارتقى إلى الرفيق الأعلى مائة وأربعة وعشرون ألف صحابي، لم يستطع أن ينعته أو يـ ـفه منهم إ ـ حوالي خمسة عشر صحابي فقط، والباقي لم يقو على ذلك، ولم يستطع ذلك !!! حتى قال الإمام القرطبي رضى الله عنه في كتاب الـ ـلاة:

"لم يُظهر الله عز وجل لنا تمام حُسن حبيبه ومصطفاه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ" فقد خلقه الله تعالى على أتم الـ ـور الإلهية من قبل القبل إلى نهاية النهايات، حتى قال الإمام البوصيري رضى الله عنه:

فهـــو الـــذي تـــم معنـــاه وصـــورته ثـــم اصـــطفاه حبيبـــاً بـــاريء النســـم
فـــاق النبيـــين فـــي خَلـــقٍ وفـــي خُلُـــقٍ فلـــم يـــدانوه فـــي علـــم ولا كـــرم

وسيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه وقف يخاطبه فقال:

وأجمـــل منـــك لـــم تـــر قـــط عينـــي وأكمـــل منـــك لـــم تلـــد النســـاء
خُلقـــت مبـــرءاً مـــن كـــل عيـــب كأنـــك قـــد خُلقـــت كمـــا تشـــاء

وقال صاحب المواهب: "اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله و يظهر بعده خلق آدمي مثله"

فإذا كان الله عز وجل قال لنا وفينا أجمعين: { وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } (٣التغابن) فإن أكمل صورة كمَّلها الله وجمَّلها الله وصوَّرها الله وسوَّاها الله من البدء إلى نهاية النهايات هي صورة سيدنا ومو نا مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ، وأُقرِّب لكم الحقيقة، سيدنا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم:

{ أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسَنِ }[٤]

أما النبي ﷺ فقد أُعطي الحُسن كله، فالذي أُعطي شطر الحسن عندما هامت به امرأة العزيز، وعلمت أن نساء الوجهاء يتحدثن عنها ويخضن في عرضها جمعتهن في بيتها، وأحضرت لكل واحدة منهن طبقاً ووضعت فيه تفاحاً وسكيناً تُقطع بها التفاح وتأكله، وبعد أن وزعت عليهن الأطباق والسكاكين والتفاح وبدأن يُقطعن أذنت ليوسف أن يدخل عليهن، اسمع لوصف الله لهذا المشهد العجيب الغريب: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} (٣١ يوسف).

إذا كان النسوة لما رأين جمال يوسف قطعن أيديهن ولم يشعرن، وسال الدم منهن ولم يلاحظن ذلك، ويوسف أُعطي شطر الحسن، فما بالك بـ ـاحب الحُسن كله وهو سيدنا رسول الله ﷺ؟!!.وربما يسأل سائل: ولِمَ لَم يحدث ذلك لمن رأى رسول الله ﷺ؟ فنقول: كان يوسف ظاهراً بالجمال الـ ـرف، ولذلك حدث ماحدث للنسوة اللاتي

[٤] مسند أحمد والحاكم عن أنس رضى الله عنهم

رأينه، أما رسول الله ﷺ فكان جماله مشوب بجلال، ولذلك قيل في وصفه: "من رآه بديهة هابه" فكانت شدة هيبته تمنع الناظر إليه من التثبت في رؤيته.

لم يستطع أن يـ نفه إ قلة قليلة، بعضهم وصف شذرات من حلية حضرته، والذي وصف هيئته كلها ثلاثة نفر، الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وأم معبد التي نزل الرسول ﷺ في خيمتها عند هجرته عندما وصفته لزوجها، وهند ابن أبي هالة ابن السيدة خديجة ﵂.

مواهب الصحابة الكرام

فإن أصحاب النبي أجمعين رضى الله عنهم وهبهم الله عز وجل مواهب متعددة، بها تم حفظ كتاب الله، وبها تم تسجيل حديث رسول، وبها تم حفظ دين الله ونقله إلى من حولهم ومن بعدهم من المؤمنين بالله، بهذه المواهب الإلهية التي خ هم بها الله.

فموهبة هند كانت في جودة الوصف، فيستطيع أن يـ ف الشيء الذي رآه وصفاً تف يلياً دقيقاً يترك منه صغيرة و كبيرة، وهذه موهبة من الله عز وجل، وبعضهم كانت موهبته هي الفقه والفطنة لما يفطن إليه الآخرين من مسائل الدين، وبعضهم كانت موهبته جودة الـ وت في ترتيل كتاب الله ليجذب بـ وته وتلاوته حتى الكافرين والمشركين كأبي بكر الـ مديق رضى الله عنه، ومعظمهم كانت موهبته جودة الحفظ، فكان النبي ﷺ إذا نزلت عليه آيات كتاب الله يقرأها ثلاثاً، منهم من يحفظ ما استمع إليه من أول مرة، ومنهم من يحفظه من المرة الثانية، وآخرهم من كان يحفظه بعد المرة الثالثة، و يوجد أحد بعد ذلك! مواهب ربانية جمَّلهم بها الحق ليبلغوا رسا ت الله عز وجل إلى خلق الله{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَا َ تِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِ َّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} (٣٩ حزاب) جم غفير وليس واحد فقط.

وما أحب أن ألفت النظر إليه أن شباب الإسلام؛ حتى الذين تربوا في أحضان الحبيب الـ طفى عليه أفضل الـ ملاة وأتم السلام كانوا في اشتياق دائم إلى رؤية الحبيب ﷺ، ويبحثون عمن يـ ف لهم صورته الظاهرة حتى يتعلقوا بها، لأن هذا هو باب القرب من الله عز وجل:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (٢١الأحزاب)، فذهب سيدنا الحسن رضى الله عنه إلى خاله هند بن أبي هالة، ويحكي هذا الأمر فيقول:

{ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ وَكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ }[٥]

يريد الوصف ليتعلق به، فإذا تعلق هذا الوصف في أفق الفؤاد ونام المرء صدَّقه الله في المنام وجاءه الحبيب زائراً له، ومنامه ﷺ حقيقة:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي }[٦]

يقول رضى الله عنه حتى نرى التنافس في الخيرات ورفعة الدرجات:

{ فَكَتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا }[٧]

---

[٥] معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه
[٦] صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه
[٧] معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه

إذاً هند بن أبي هالة، والإمام علي، وأم معبد؛ هؤلاء الثلاثة الذين لهم وصف جامع أو شامل لرسول الله ﷺ، أما بقية أوصاف أصحابه الذين ذكرنا أن عددهم لا يزيد عن الخمسة عشر؛ فكانت جزءاً من وصف حضرته، ولكن ليس وصفاً كلياً أو وصفاً جامعاً أو وصفاً شاملاً لرسول الله ﷺ.

جمع الإمام الترمذي رضى الله عنه هذه الأوصاف كلها الواردة عن هؤلاء الأصحاب من كتب الـ ـحاح في كتابه العظيم (الشمائل المحمدية) وهذا الكتاب يحتاج إلى شروح، لأن ألفاظهم ألفاظ عربية غير سهلة المدارك، ولذلك له شروح تزيد على الخمسين شرح، منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها الموجود حالياً، ومنها الذي لا يُدرى ولا يُعلم مكانه، وله شروح عـ ـرية شرحها بعض السادة المعاصرين، ولكنها معظمها شروح لغوية، تشرح معاني الألفاظ والعبارات الواردة عن الرسول ـلى الله عليه وسلم، وأنا سأحاول أن أقرب الحقيقة للأحباب على قدر تيسير الله، وإلهامه، وإمدادات رسول الله ﷺ، وليس راءٍ كمن سمع.

تمام حسنه ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ كان ليس بالطويل الزائد عن الحد، ولا بالقـ ـير، بين الطول والقـ ـر، وهذا يُسمَّى في لغة العرب (رَبْعة بين الرجال) ومع ذلك كان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول: (ما مشى ﷺ بين رجال إلا وكان أطولهم مهما كان طولهم) ويقول سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه: (ما جلس ﷺ وسط قوم إلا كان أعلاهم أكتافاً مهما كان علوهم)

وكأن الله عز وجل أراد أن يُعلمنا أنه أعلى شأنه في الدنيا والآخرة، وفي كل أموره صلوات ربي وتسليماته عليه.

كان وجهه ﷺ أبيض بياضاً مُشرباً بحمرة[٨]، وهذا أفضل أنواع البياض، وهذا هو الوصف الذي ذكره صلى الله عليه وسلم لحور الجنة، أهن على هذه الهيئة الطيبة العظيمة، بياض مختلط بحمرة.وأنتم تعلمون قدرة الله عز وجل في لون جسم الإنسان، ما الذي يُلون الإنسان؟ جريان الدم الذي يجري تحت الجلد هو الذي يُشكل لون الإنسان، فإذا مرض الإنسان وهرب الدم ظهر شكل الإنسان أصفر، وإذا غضب الإنسان واكفهر يميل لونه إلى السواد والزرقة ... فالذي يشكل لون هيئة الإنسان هو الدم الذي يُجريه الرحمن تحت جلد الإنسان، ومن عجيب قدرة الرحمن عز وجل أنه يجعل هذا الدم يجري بمقدار لا يعلم مداه إلا الواحد القهار ليحافظ على هذا اللون للإنسان باستمرار حتى يخرج من الدنيا إلى دار القرار.

وكان ﷺ مستدير الوجه، ولذا سُئل البراء بن مالك رضى الله عنه:

{ أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ }[٩]

ويقول أحد أصحابه الكرام:

{ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ }[١٠]

وليلة أضحيان هي ليلة الرابع عشر من الشهر الهجري، وكان ﷺ عينيه بياضهما مُشرب بحمرة، وحدقة

[٨] مسند أحمد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه
[٩] صحيح مسلم وسنن الترمذي
[١٠] سنن الترمذي والدارمي عن جابر بن سمرة رضى الله عنه

العين سوداء، ولكنه ﷺ بهذه العين لم يكن ينظر كما ننظر، فنحن بعيوننا لا ننظر إلا في الضوء، والسيدة عائشة ﵂ تقول في حضرة النبي ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى فِي الظُّلْمَاءِ كَمَا يَرَى فِي الضَّوْءِ }[١١]

مع أن الكيفية العلمية لا تسمح بذلك، لكن الكيفية الإلهية تقول: لا حرج في ذلك، لا حرج على فضل الله عز وجل، بل إن هذه العين كانت ترى ما في الضمائر والسرائر كما ترى في الوجوه وما في الأفاق، فكان ﷺ إذا صلَّى بالقوم وانتهى من الصلاة يلتفت إلى مِن خلفه ويقول:

{ يَا فُلانُ، أَلا تَتَّقِي اللَّهَ؟ أَلَا تَرَى كَيْفَ تُصَلِّي؟ إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا تَصْنَعُونَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ }[١٢]

وفي رواية أخرى: { أَحْسِنُوا صَلاتَكُمْ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ أَمَامِي }[١٣]

وقد أضاف إلى هذا المعنى معنى أعمق وأوثق شيخنا الشيخ مُحَمَّد على سلامة رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال: لم يعني رسول الله بمَن خلفه الذي يقف خلفه في الصف، ولا مَن أمامه الذي أمامه في الحائط، ولكن كل مَن خلفه أي قبله من بدء البدء فقد رآه، وكل من بعده إلى فريق في الجنة وفريق في السعير فقد رآه.

أي أنه يرى كل من سبقه، ولذلك حدَّث عن الأنبياء، وعن المرسلين، وعن أممهم، وعما جرى لهم، وعما حدث لهم، والله عز وجل يقول له في ذلك: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} (١ – الفيل) وكما قال الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه: (ألم تر) استفهام تقريري، أى أنك رأيت ماذا فعل الله في أصحاب الفيل

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} (٤٥الزخرف) {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} (٨٢يوسف) اسأل الرسل، واسأل حتى القرية!!.

وكان ﷺ يُحدث عن كل ما سيحدث بعده إلى يوم القيامة، بل يُحدث عن البرزخ وما فيه، ويُحدث عن القيامة وأهوالها ومواقفها، ويصف الجنة ونعيمها، ويصف النار وأهوالها لأنه أعطاه الله عز وجل عيناً من عينه، نظر بها إلى ما قبل القبل، وإلى ما بعد البعد صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان ﷺ سهل الخدين[١٤]، أي منبسطين غير منتفخين، وفي هذا جمال وكمال لحضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان ﷺ محدودب الأنف، أي فيه طول من أعلى، ولكن أرنبته ليست بالطول الذي يُعاب، ولكنه الطول الذي يُحمد ويُمدح ويُثنى به عليه.

وكان ﷺ ضليع الفم[١٥]، أي واسع الفم، وهذا شيء كان يتمدح به العرب لأنه يدل على الفصاحة.

ريقه شفاء

وكان ﷺ ريقه فيه شفاء من كل داء، وفيه حدِّث ولا حرج، فتارة يشفي به من العين، ولذلك رُوي أنه ﷺ

[١١] دلائل النبوة للبيهقي
[١٢] مسند أحمد وصحيح ابن خزيمة
[١٣] مسند أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه
[١٤] الطبراني عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه
[١٥] الطبراني عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه

بعد ولادته بأيام ولم يُتم أسبوعاً أصيب برمد في عينيه، وكان أحبار اليهود عندما علموا بقرب ظهوره جاءوا إلى الجزيرة العربية يرجون رؤياه، منهم من سكن بعرفات، ومنهم من سكن بالمدينة، ومنهم من سكن بخيبر، وكلهم جاءوا بحسب ما وجهت لهم التوراة ليتحققوا من أوصاف رسول الله ﷺ ويروا حضرته، فحمله جده عبد المطلب وذهب به إلى الراهب الذي كان في عرفات، وكان يعالج من أمراض العيون، فلما نظر إليه قال: هذا دواؤه معه، خذ من ريقه وضع في عينيه يُشفى إن شاء الله، فأخذ من ريقه ووضع في عينيه فشفاه الله عز وجل.

ولذا عندما أحاط النبي ﷺ بخيبر وهمَّ بفتحها، واستعصى الفتح على جيش المسلمين، حتى غروب الشمس، قال ﷺ:

{ لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ }[١٦]

هذا الريق كان يُحول الماء الملح إلى ماء عذب، وهذا حدث مراراً وتكراراً في مرات يعجز الحصر عن ذكرها؛ ذكرتها كُتب السيرة الصحيحة المعتمدة، فقد كان يأتيه العرب ومعهم أقداح، ويقولون يا رسول الله: إن لنا بئراً مالحاً فادعوا الله أن يجعلها عذبة، فيأمر ﷺ بشيء من الماء في القدح، ثم يشرب منه ويتمضمض، ويُنزل الماء بعد المضمضة في القدح، ويقول: خذه وضعه في البئر، فيأخذون الماء ويضعونه في البئر فيتحول إلى ماء عذب بأمر الله عز وجل، قال علاء الحضرمي رضى الله عنه:

{ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ ثُمَّ صَبَّ فِي الْبِئْرِ أَوْ شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ، ثُمَّ مَجَّ فِي الْبِئْرِ، فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ }[١٧]

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال:

{ كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي الْبِئْرِ فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا وَرَوَتْ أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا }[١٨]

وما أكثر الآبار التي تحولت في المدينة ومكة والجزيرة العربية كلها من ريقه الشريف صلوات ربي وتسليماته عليه، ولعلنا نعجب جميعاً كيف تعيش دولة مثل الجزيرة العربية الآن وليس فيها أنهار ولا أمطار، ولا يوجد فيها إلا مياه الآبار، وماء الآبار قليل، ومع ذلك يكفيهم ولا يهتمون ولا يبحثون عن شيء؟! لأن هذا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لماء هذه البلدان، وإن كان ﷺ بشَّرنا وإياهم ببشارة فقال ﷺ:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا }[١٩]

سترجع أرض الحجاز خضراء وأنهار وحدائق جناء، لأن الدورة المناخية قد اقترب تحقيقها بالنسبة لمصر والسعودية إن شاء الله رب العالمين.

{ جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةٌ بَذِيئَةُ اللِّسَانِ قَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَدِيدٌ يَأْكُلُهُ، فَأَخَذَ قَدِيدَةً فِيهَا عَصَبٌ، فَأَلْقَاهَا إِلَى فِيهِ، فَهُوَ يَلُوكُهَا مَرَّةً عَلَى جَانِبِهِ هَذَا، وَمَرَّةً عَلَى جَانِبِهِ الآخَرِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلا تُطْعِمُنِي؟ قَالَ: بَلَى، فَنَاوَلَهَا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَتْ: لا، إِلا الَّذِي فِي فِيكَ، فَأَخْرَجَهُ

[١٦] مسند أحمد والحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه
[١٧] مسند أحمد وسنن ابن ماجة
[١٨] صحيح البخاري ومسند أحمد
[١٩] مسند أحمد وصحيح ابن حبانعن أبي هريرة رضى الله عنه

فَأَعْطَاهَا، فَأَخَذَتْهُ فَأَلْقَتْهُ إِلَى فَمِهَا، فَلَمْ تَزَلْ تَلُوكُهُ حَتَّى ابْتَلَعَتْهُ، فَلَمْ يُعْلَمْ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ بَعْدَ ذَلِكَ الأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَذَاءِةِ وَالذِّرَابَةِ }[٢٠]

و أخبر جعفر بن محمود أن جدته عميرة بنت مسعود حدثته: **{ أنها دخلت على رسول الله ﷺ هي وأخواتها وهن خمسة فبايعنه، فوجدنه وهو يأكل قديدا، فمضغ لهن قديدة، ثم ناولهن إياها فاقتسمنها، فمضغت كل واحدة منهن قطعة، قال: فلقين الله عز وجل ما وجدن في أفواههن خلوقا، ولا اشتكين من أفواههن شيئا }**[٢١] بدون معجون أسنان، ولا أي معطرات، ولا حتى سواك، ولا أي شيء من هذا القبيل.

بل الأعجب من هذا أن رجلاً كان يُسمَّى عُتبة بن فرقد رضى الله عنه، تزوج أربع نساء، وكانت كل واحدة منهن تجتهد أن تشتري أفخر ما وسعها من العطر لتبدو أحسن عند زوجها، وهو لا يضع عطراً، وأخيراً اجتمعن وقلن له: يا عتبة نحن نشتري أفخر العطور، ونضعها، ولا نراك تضع عطراً، ومع ذلك لا نـ ـل إلى الرائحة الطيبة التي نشمها منك، فمم ذاك؟ تحكي هذا الأمر إحدى زوجاته وهي أم عاصم فتقول:

{ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، مَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا، وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةُ الطِّيبَ إِلا يَمَسُّ دُهْنًا يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتِهِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، قَالُوا: مَا شَمِمْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ، وَلأَنْتَ أَطْيَبُ مِنَّا رِيحًا، فَمِمَّ ذَاكَ؟، فَقَالَ: أَخَذَنِي الشَّرَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ، فَتَجَرَّدْتُ، وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي، فَنَفَثَ فِي يَدِهِ عَلَى ظَهْرِي وَبَطْنِي، فَعَقَبَ بِي هَذَا الطِّيبُ مِنْ يَوْمَئِذٍ }[٢٢]

بل إنه ريقه ﷺ كان شفاء وغذاء، فقد كان الحسن والحسين وهما صغار، عندما تغيب أمهما في حاجة، ويجوع أحدهما يضع النبي ﷺ لسانه بين شفتيه فيبلع لسانه – يرضع لسانه – ويشبع بإذن الله عز وجل، ولا يحتاج إلى رضاع بعد ذلك!! واسمعوا :

{ عن أبي جعفر، قال: بينما الحسن مع رسول الله ﷺ اذ عطش فاشتد ظمأه فطلب له النبي ﷺ ماءاً فلم يجد فأعطاهُ لسانه فمصّه حتى روي.} ومرة أخرى الحسن والحسين معاً: فعن أبي هريرة قال: **{ أشهد لخرجنا مع رسول الله حتى إذا كُنا ببعضِ الطريق سمعَ رسولُ الله صوتَ الحَسَن والحُسَين وهما يبكيان وهما مع أمهما، فأسرعَ السَّيْرِ حتى أتاهما، فسمعته يقول: ما شأن ابنيَّ؟ فقالت: العَطَش، قال: فأخلف رسول الله يده إلى شَنَّةٍ يتوضأ بها فيها ماءٌ وكان الماء يومئذ إعذاراً والناس يريدون الماء، فنادى: هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق إلا أحد أخلف يده إلى كَلالهِ يبتغي الماءَ في شنَّة، فلم يجد أحدٌ منهم قطرة، فقال رسول الله: ناوليني أحدهما فناولته إياه من تحت الحِذْر، فرأيتُ بياض ذِراعيها حين ناولته فأخذَه، فضمَّهُ إلى صَدرِه وهو يضغو ما يَسْكت، فأدلع له لسانَه فجعلَ يمصُّه حتى هَدأ وسَكَنَ، فلم أسمع له بُكاءً، والآخر يبكي كما هو ما يسكت، فقال: ناوليني الآخر فناولته إياه، ففعل به كذلك، فسكتا،**

[٢٠] معجم الطبراني عن أبي إمامة رضى الله عنه
[٢١] أخرجه أبو نعيم وأبو موسى عن عميرة بنت مسعود، معرفة الصحابة
[٢٢] معجم الطبراني ودلائل النبوة للبيهقي

فما أسمعُ لهما صَوْتاً }[٢٣]

ثم الحسن والحسن وأطفال رضع آخرين معهم، فقد ورد أنه: **{ كان رسول الله ﷺ يعظِّمه (أى يوم عاشوراء) حتى إن كان ليدعو بصبيانه وصِبيان فاطمة المَراضع ذلك اليوم، فيتفلُ في أفواهِهم ويقول لأمهاتهم: لا تُرْضِعُوهُمْ إلى اللَّيْلِ، وكان ريقه يُجْزِئهم }**[٢٤]

إذاً حتى أوصافه البشرية فيها إعجازات ربانية، لا يستطيع أحد من البشر أن يصل إلى مداها، أو يبلغ منتهاها، لأن الله عز وجل خلقه على أكمل الصور البشرية الإنسانية صلوات ربي وتسليماته عليه.

ونكتفى بوجه رسول الله ﷺ الآن الذى نسأل الله عز وجل به أن يواجهنا هذه الليله بوجهه، و أن يرفع النقاب و الستر عن جماله ونوره وبهائه، وأن بتمعنا بضياء وجه وبنوره ، وأن يجلعنا من الذين يبشرون به، ويكونون فى الدنيا و الأخره ممتعين بجنابه محظين بنوره

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد و على آله وصحبه وسلم

٢٣ تهذيب الكمال، والشريعة للآجرى عن أبى هريرة

٢٤ مجمع الزوائد، رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط عن عليلة عن أمها